

الفصل السادس

فى الوفود على الخلفاء وأهل الكرم والوفاء

□ جبلة بن الأيهم يفد على عمر ! :

قال أحمد بن عمر الكوفى : إن جبلة بن الأيهم^(١) كتب إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يطلب إذنه فى القدوم عليه مُسْنِماً ، فَسَّرَ عمر بذلك وكتب إليه أن يُقَدِّمَ ويُسَلِّمَ وله مالنا وعليه ما علينا .

فخرج جبلة فى جمع كثير من سائر العرب ، فلما قرب من المدينة ألبس القوم حلاً من الذهب ، ومطارق مُوشَّاة ، وجَلَل الخيل بجلاجل الأطلس ، ولبس جبلة تاجاً نفيساً ولم يبق فى المدينة أحدٌ حتى خرج النساء والصبيان ، وفرح المسلمون بإسلامه وقدمه ، وكان يوماً مشهوداً ، فدخل المدينة وأسلم ، وأقام بالمدينة ، وتعلم شرائع الإسلام .

فلما كان أوان الموسم خرج عمر - رضى الله عنه - إلى الحج ، وخرج جبلة معه يريد مكة والوقوف بعرفة ، فبينما جبلة بن الأيهم يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من بنى فزارة فحلَّه ؛ فالتفت جبلة إلى الرجل فلطمه لطمه هشَمَ بها أنفه ، فاستعدى الفزارى عليه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأرسل عمر إلى جبلة فأحضره ، فحضر إليه فقال له : ما دعاك إلى ما صنعتَ بهذا الرجل الفزارى ؟!

قال : لأنه وطئ على إزارى فحلَّه ، ولولا حرمة هذا البيت لأطحت برأسه ، قال له عمر : أما أنت فقد أقررت بفعلتك فإما أن تُرضيه وإما القصاص ، قال : أو تقتص له منى وهو سَوْقة وأنا جبلة بن الأيهم ملك غسان ؟!

قال له عمر - رضى الله عنه - : إنه قد جمعك وإياه الإسلام فلا فضل لك عليه فى القصاص! ، قال جبلة : لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعزَّ

(١) آخر الملوك الفساسنة شارك الروم فى معركة دومة الجندل واليرموك أسلم فى أيام عمر بن الخطاب ثم ارتد وقصد القسطنطينية وفيها تولى .

منى فى الجاهلية ! قال له عمر : دع عنك ذلك . قال : إذن أنتصر !، فقال له عمر : إن تنصرت ضربت عنقك . قال : واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنه ؛ فقال جبلة : أخرنى إلى غد يأمر المؤمنين ، قال : لك ذلك ، فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة والمدينة ، فلم يزالوا حتى دخلوا القسطنطينية على « هرقل » فتنصروا جميعاً ، فأقطعه من الأراضي وأوقف عليه من الرباع ما أعرضتُ عن ذكره مخافة التطويل ، قال : وبعث عمر - رضى الله عنه - إلى « هرقل » يدعو إلى الإسلام ، فأجابه إلى المصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب لعمر جوابه قال للرسول : اذهب إلى جبلة بن الأيهم الذى أتانا من عندهم وتأنصّر ، قال : فذهب إليه الرسول ، فإذا على رأسه من القهارمة^(١) والحجاب والحفدة^(٢) ما لا يوصف .

فاستأذن عليه ودخل إليه ، فإذا هو على سرير من بلور قوائمه من ذهب ، فلما رانى عرفنى وأدنانى وأجلسنى إلى جانبه وأخذ يسألنى عن المسلمين واحداً بعد واحد ورجلاً رجلاً فأقول له بخير تركتهم ، قال : وكيف تركت عمر ؟! قلت : بخير ، ثم نزلتُ عن السرير ، فلما نزلت قال لى : لم تأتى الكرامة التى^(٣) أكرمتك بها ؟! فقلت : إن رسول الله - ﷺ - نهى عن مثل ذلك^(*) ، قال : نعم - ﷺ - ، ولكن ثق بنبيك ، واجلس على ما شئت ، قال الرسول : فلما سمعته يصلى على النبى - ﷺ - طمعت فى إسلامه وقلت له : يا جبلة هل لك فى الإسلام والرجوع إليه ؟! ، قال : أبعد ما كان منى ؟! قلت : نعم !، قد فعل رجل قبلك من بنى فزارة أكثر مما فعلت ! ارتد عن الإسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم عاد إلى الإسلام وقُبِل منه وخلفته بالمدينة مسلماً وهو فلان بن فلان ، قال جبلة : لا أعود إلا إن زوجنى عمر ابنته وولأتى العهد ، قال الرسول : فضمنت له التزويج ولم أضمن له الخلافة .

(١) القهارمة : جمع فهزمان وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه .

(٢) الحفدة : جمع حافد وهو الخادم .

(٣) إشارة إلى ما روى عنه - ﷺ - « لا يأبى الكرامة إلا حمار » ورد موقوفاً من حديث ابن عمر انظر المقاصد (٤٦٩) والذرر برقم ٤٥١ والتميز ١٩١

(*) إشارة إلى ما ورد فى النهى عن استعمال الذهب .

ثم دعا بموائد طعام فأحضرت أطباق من فضة وصحاف من ذهب فيها الطعام ، فقال لى كُل ، فقبضت يدى وقلت : إن رسول الله - ﷺ - نهى عن الأكل فى مثل^(١) ذلك ، فقال : نعم - ﷺ - ودعا بقصعة من خَلْتَج^(٢) فأكلت فيها ، وكان بحضرته جوار يغنين من الشعر وبأيديهن العود والأراغل^(٣) ، فقال لى : أتعرف قائل هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصارى كيف حاله ياترى ، قلت له : قد كف بصره ، قال : فأمر لى بكسوة ومال وثوق موفورة ، ثم قال لى : خذ هذه فإن وجدت حسنا حيا فسلمها إليه ، وإن وجدته ميتا فادفع المال لأهله ، وانحر الثوق على قبره ، وأنشد هذه الأبيات :

تَنْصَرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارٍ لَطْمَةٍ وما كان فيها - لو صيرت لها - ضرر !!
تَكْتَفِنِي فِيهَا لَجَاجٌ - وَنَخْوَةٌ وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
فِيالَيْتِ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ! وَلَيْتَنِي رجعت إلى القول الذى قال لى عمر !
وَيَالَيْتَنِي أَرَعَى الْخَاضَ بِقَفْرَةٍ وكنت أميرا فى ربيعة أو مضرا !

قال الرسول : فأخذت الهدية ورجعت إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأخبرته بصورة الأمر ، قال : هلا ضمنت له ذلك ؟! ، فإذا فاء إلى الإسلام وتأنس به قضى الله بحكمه فينا وفيه ، ثم ذكرت له هدية حسان فأنفذ عمر إلى حسان فأقبل وقائد يقوده ، فلما دخل حسان قال : يا أمير المؤمنين إنى لأجد ريح غسان ، قال : نعم ، هذا رجل قدم علينا من عندهم ، قال : هات يابن أخى ما معك ، فقال الرسول : ومن أعلمك أن معى هدية ؟ قال : يابن أخى إن جبلت كريمة من عصبية كرام مدحتهم فى الجاهلية فأعطانى وحلف أن لا يلقى أحدا يعرفه بمكانى إلا سیر لى معه هدية ، قال : فدفعت له المال والإبل ، ثم أعادنى عمر إلى القسطنطينية لأضمن لجيلة التزويج والأمر ، فلما قدمْتُ القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء قد غلب عليه فى أم الكتاب ! .

(١) أرجع إلى ما يُحْظَر استعماله منها فى الأشربة البخارى ك ٢ ب ٤٠ مفتاح كنوز السنة ومسلم ك ١ ح ٢٣ - ٢٧ .

(٢) الخلتج : شجر وهو مُعَرَّب كما جاء فى القاموس . (٣) الأراغل جمع أرغول .

[عمر بن عبد العزيز والشعراء]

وقال الكلبي : لما أفضت الخلافة لعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - وفدت عليه الشعراء كما كانت تفقد على الخلفاء قبله ، فأقاموا بيباه إياماً فلم يؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عليه عبد بن أرتاة(*) - يعنى على عمر بن عبد العزيز - وكانت له منه مكانة فتعرض له جرير وسأله أن يستأذن لهم ، فقال عدى : نعم ، فلما دخل عدى على عمر قال له : ياأمير المؤمنين إن الشعراء بيباك لهم أيام لا يؤذن لهم ، وأقوالهم باقية ، وسيهامهم مسنونة فقال عمر : ياعدى مالى وللشعراء !

قال : ياأمير المؤمنين إن النبى - ﷺ - مدح^(١) فأعطى وفيه أسوة لكل مسلم ، قال : ومن مدحه ؟ قال : مدحه عباس بن مرداس السلمى فكساه حلة ، وقال : يابلال اقطع عنى لسانه ، قال أو تروى قوله ؟ ، قال : نعم .

قال عمر : قل ، فأنشده هذه الأبيات بصوت رخيم :

رَأَيْتُكَ يَاخَيْرَ الْبَرِيَةِ كُلِّهَا نَشَرْتُ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُغْلَمًا
سَنَنْتُ لَنَا فِيهِ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا عَنِ الْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الْحَقُّ مَظْلَمًا
وَنُورَتْ بِالْإِسْلَامِ مَا كَانَ مَظْلَمًا وَأَطْفَأَتْ بِالْبُرْهَانِ جَمْرًا تَصْرَمًا
فَمَنْ مَبْلَغَ عَنَى النَّبِىِّ مُحَمَّدًا فَكُلْ أَمْرِيءَ يُجْزَى عَلَى كُلِّ مَائِكَلَمًا

(*) فى رواية العقد الفريد : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو خطيب راوية ناسب شاعر وصحب عمر بن عبد العزيز فى خلافة .

(١) وكذلك مدحه كعب بن زهير وخلع عليه برده وأنشده :

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول
وترجم له ابن حجر فى الجزء الخامس من الإصابة (تحت رقم ٧٤١٦) وذكر قصة إسلام كعب بعد أن كان الرسول - ﷺ - قد أهدر دمه فجاء وأنشده القصيدة : بانت سعاد وقال ابن حجر ووقعت لنا بعلو فى جزء إبراهيم بن يزيد الكبير ، وأخرج ابن قانع من طريق الزبير بن بكار عن بعض أهل المدينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ... وذكر قصة إسلامه أما العباس بن مرداس فقد شهد مع النبى - ﷺ - الفتح وحينما ذكر ابن حجر وهو القائل لما أعطى النبى - ﷺ - الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن من غنائم حنين أكثر مما أعطاه : أجمعل نهى ونهب الع - سيد بن عينة والأقرع وما كان حصن ولا حابس يطوقان مرداس فى مجمع !!

أَقَمْتُ سَبِيلَ الْحَقِّ بَعْدَ أَجْوَاجِهِ وَكَانَ قَدِيمًا وَجْهُهُ قَدْ تَهَدَّمَا
تَعَالَى غُلُوبًا فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا وَكَانَ جَلَالُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمًا
قال عمر : صدقت !؛ فمن بالباب منهم ؟! قال عدى : يا أمير المؤمنين
بالباب منهم ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي فقال عمر : لا قَرَبَ الله قرابته ،
ولاحيًا وجهه أليس هو القائل هذا :

فِيالَيْتِ أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مِنِّي شَمَمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِ
وَيَالَيْتِ سُلَيْمَى فِي الْمَمَاتِ ضَجِيعَتِي هُنَالِكَ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ^(١)
فليتة - عدو الله - تمنّاها في الدنيا ، ثم يرجع إلى العمل الصالح والله لا
دخل على .

من بالباب غيره ؟ قال : بالباب جميل بن معمر العذري ، قال : أليس
هو القائل في قصيدة له :
أَلَا لَيْتُنَا نَحْيَا جَمِيعًا وَإِنْ نُمْتُ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتِ ضَرْبِي ضَرْبُهَا
فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ بَرَاغِبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سَوَى عَلَيْهَا صَفِيحُهَا^(٢)
أَظَلَّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي النَّامِ وَرُوحُهَا
أَعْرَبُ^(٣) عَنِّي بِهِ .

فمن بالباب غيره ؟ قال : بالباب كثير عزة ، قال : أليس هو القائل في
قصيدة له هذا الكلام :
رُهْبَانُ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهْدُهُمْ يَكُونُ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعُودًا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا خَرُّوا لَعَزَّةَ خَاشِعِينَ سَجُودًا
عَدَّ^(٤) عِنْدَ ذِكْرِهِ ! .

من بالباب غيره ؟ قال : الأخوص الأنصاري ، قال : أَبْعَدُهُ اللَّهُ وَمَحَقَهُ !
أليس هو القائل في قصيدة له وقد أفسد على رَجُلٍ جَارِيَتَهُ بِالْمَدِينَةِ حَيْثُ أَبَقَتْ
من سيدها :

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدَهَا يَفْرَعُنِي بِهَا وَأَتْبَعُ^(٥)

(١) الليتان في ديوانه . (٢) الصفح جمع صفيحة وهي الحجارة العراض .

(٣) اذهب من أمامي حتى لا أراك كما تغرب الشمس .

(٤) عَدَّ عن ذكره : اضرب صفحاً عنه وتجاهله .

(٥) البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة .

لا يدخل على .

من بالباب غيره ؟ قال : همام بن غالب الفرزدق ، قال : أليس هو القائل
في قصيدة له يفتخر بالزنا في هذين البيتين :

هَما دَلَّتَايَ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ أَقْمُ الرِّيشِ كَاسِرُهُ^(١)
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رَجُلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَاذِرُهُ^(٢) ؟
قال : لا يدخل على ، وهذه قصيدة مشهورة للفرزدق ذكر فيها أشياء
أعرضت عن ذكرها .

قال عمر : من بالباب غيره ، قال : الأخطل التغلبي ، قال : هو الكافر
إذ قال في شعره هذه الأبيات القبيحة :

فَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمْضَانَ غُمَرَى وَلَسْتُ بِأَكَلٍ لَحْمِ الْأَصْحَابِ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْغَيْرِ يَدْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَتَّى عَلَى الْفَلَّاحِ
وَلَكِنِّي سَأَشْرِبُهَا شُمُولًا وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُتَبَلِّجِ الصَّبَاحِ^(٣)
والله لا وطىء لى بساطاً أبداً وهو كافر !!

من بالباب غيره ؟ قال : جرير بن الحطفي ، قال : أليس هو القائل في
قصيدة له :

لَوْلَا مِرَاقِبَةُ الْعُيُونِ أَرَيْنَا مُقَلَّ الْمَهَا وَسَوَالِفَ الْآرَامِ
طَرَقَكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ^(٤)
فإن كان ولا بد فأذن لجرير ، فخرج عدى فأذن لجرير ، فقال : ادخل
أباحرزة ! ، فدخل جرير وهو يقول هذه الأبيات الحسان بصوت حسن :
إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ
وَسِعَ الْخَلَائِقُ عَدْلُهُ وَوَفَاؤُهُ حَتَّى أَزْعَوَى وَأَقَامَ مِثْلَ الْمَائِلِ
وَاللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ فَرِيضَةً لِابْنِ السَّيْلِ وَلِلْفَقِيرِ الْعَائِلِ
إِنِّي لِأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مَوْلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ^(٥)

(١) قال في اللسان : كسر الطائر يكسر : ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع والكاسر الغقاب ،
ويقال : باز كاسر .

(٢) البيتان للفرزدق في ديوانه ص ١٨٩ . والبيت الثاني في الديوان مقدم على الأول وبينهما بيت .

(٣) الأبيات في ديوانه قالها عندما طلب منه عبد الملك بن مروان أن يسلم .

(٤) البيتان في ديوانه (ص ٥٥١ ؛ ٥٥٢) . والآرام : الظباء .

(٥) الأبيات عدا الثاني في ديوان جرير (ص ٤١٥) في مدح عمر بن عبد العزيز .

قال : فلما حضر بين يديه قال : يا جرير ؛ اتق اللهَ ولا تُثقلْ إلا حَقًّا ! ، فقال جرير هذه الأبيات :

كَمْ بِالْإِمَامَةِ مِنْ شَعَثَاءَ أَرْزَمَلَةٍ وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ
مِمَّنْ يَعْذُكَ تَكْفِي فَقَدْ وَالِدِهِ كَالْفَرْخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَذْرُجْ وَلَمْ يَطِرْ
إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفْنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ^(١)

وهذه قصيدة طويلة اختصرتها ، فقال : والله يا جرير ما يملك عمر سوى مائة درهم ، يا غلام ادفعها له ، فدفع له حَلَى سيفه ، فخرج جرير إلى الشعراء فقالوا له : ما وراءك ؟! قال : رجل يُعْطَى الفقراءَ وَيَمْنَعُ الشعراءَ وأنا عنه راضٍ !! .

[وفود سودة على معاوية]

وقال الشعبي : قدمت سودة بنت عمارة على معاوية ، فلما دخلت عليه وسلمت قال لها : كيف أنت يا بنت عمارة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! ، قال : أنسيت قولك لأخيك يوم صيفين ؟ قالت : وما هو يا أمير المؤمنين قال : شَمَّرَ كِفْعَلُ أَيْكَ يَا بِنَ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَانْصُرْ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَفِطَهُ واقصد لهند^(٢) وابنها بهوان

قالت : يا أمير المؤمنين ما مثلي من رغب عن حق ، واعتذر بباطل ، قد كان مني ، قال : فما حملك على مثل هذا ؟ قالت : حب عليّ - رضى الله عنه - واتباع الحق ، قال : فما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً ، قالت : بلى والله كانت آثاره جميلة ، وعدله شاملاً ، فبالله يا أمير المؤمنين إلا صرفت عنك تَذْكَارَ مائسى !! .

قال : هُيَّاهُ مِثْلَ مَقَامِ أَخِيكَ يُنْسَى ، قالت : صدقت ما كان أخى خَفِيَّ الْمَقَامِ وَلَا ذَمِيمَ الْمَكَانِ ، كان والله كما قالت الخنساء :

وإن صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كأنه علم^(٣) في رأسه نار

(١٢) الأبيات في ديوان جرير (ص ٢٧٤ ، ٢٧٥) والأخير مقدم على سابقه في الديوان .

(١) هند بنت عتبة ، أما ابنها فهو معاوية .

(٢) البيت في ديوان الخنساء وقد قالته في أخيها صخر وهو يقولون في كل مشهور معلوم « أشهر من نار على علم » والعلم : الجبل .

ثم قالت : يا أمير المؤمنين دعنى من مثل هذا ، قال : قد فعلت ، قولى حاجتك ، قالت : يا أمير المؤمنين إنك أصبحت للناس سيّدا ، ولأمرهم مُقلّداً ، والله سائلك عما فرضه عليك من حقنا ، وأنت مُقدّم من يئوء بعزك ، ويطش بسלטانك فيحصدنا حصّاد السنبُل ، ويدوسنا دوس البقرة ! .

قال : من هو ؟ قالت : ابن أُرطاة^(١) عدى قدم إلى أرضنا فقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لك لكان فينا المنعة له ، فإما عزلته منا شكرناك وإن لم تعزله عَرَفْنَاكَ ، قال لها : أتهديننى بقومك ؟ والله لقد همت أن أردك إليه على كور قَب^(٢) فَيُنْفَذُ فِيكَ حُكْمَهُ ، فقالت عند ذلك :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى رُوحِ نَضْمَتِهِ قَبْرَ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَنْفِى بِهِ بَدَلًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال معاوية : من هو ؟ قالت : على بن أبى طالب ، قال : ما الذى جرى لك معه ؟ قالت : أتيت فى رجل ولآه الصدقات فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلى ، فلما أحسن لى سَلَم من صلاته والتفت إلى برحمة ورفق ورأفة ، وقال : ألك حاجة ؟ فأخبرته الخبر ، فبكى ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على وعليهم إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ، ثم أخذ قطعة من جلد وكتب فيها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٥] ﴿ وَلَا تُخُونُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴾ [هود : ٨٥ - ٨٦] إذا قرأت كتابى هذا فاحفظ ما فى يديك من عملك حتى يرد عليك من يقضه منك والسلام ؛ فصرفه من عمله وولى علينا غيره ، فقال لها معاوية : اكتبوا لها بالعدل والإنصاف ، فقالت : لى خاصة أو لقومى عامة ؟ فقال : لك خاصة ، قالت : إن هذا للوَم عظيم ، قال معاوية : هيات اكتبوا لها ولقومها^(٣) .

(١) هو يُسر بن أُرطاة قائد فاك من الجبارين ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً روى عن النبى

ﷺ - حديثين فى مسند أحمد . ثم كان من كبار رجال معاوية بن أبى سفيان وشهد فتح مصر .

(٢) القتب : الرُّخْل الصغير على قدر ستام البعير .

(٣) انظر القصة فى العقد الفريد المجلد الثانى كتاب الجمّانة فى الوفود وطابع النساء بتحقيقى .

[وفود بكارة على معاوية]

وحدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي ، قال : دخلت بكارة الخزاعية على معاوية ، وكانت امرأة قد كبرت ، وعشى بصرها^(١)، وضعفت قوتها بين جارتين لها ، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت ياخاله ؟ قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، قال : غَيْرِكَ الدهر ، قالت : هو كذا ذو غَيْرٍ ؛ من عاش كَبِيرَ وَمَنْ مَاتَ قَبِيرَ ، فقال عمرو بن العاص : هي والله القائلة ياأمير المؤمنين هذا الكلام :

يازيد دونك فاستشر من دارنا سيفاً حُساماً في الترابِ دَفِينا
قد كنتُ أَذْخِرُهُ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ فالِيَوْمَ أَبْرَزُهُ الزَّمانُ مَصُوناً
فقال مروان بن الحكم : وهي والله القائلة ياأمير المؤمنين :

أترى ابنَ هِنْدٍ للخِلافةِ مالِكاً هِيَّاتِ ذاك - وإنْ أَرَادَ - بَعِيدُ
مَتَّكَ نَفْسُكَ في الخِلاءِ ضَلالَةً أَغْوَكَ عَمَرُو لِلشَّقَا وَسَعِيدُ
فقال سعيد بن العاص : وهي القائلة ياأمير المؤمنين :

قد كُنْتُ أَزْجُو أنْ أَمُوتَ ولا أَرَى فَوْقَ المُنَابِرِ مِنْ أُمِيَّةٍ مَخْاطِباً
فاللَّهُ أَخَرٌ مَدَقِي فَتَطاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمانِ عَجائباً
في كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمانِ خُطيبِهِم بَيْنَ الجَميعِ لآلِ أَحْمَدِ عَائِباً !

قالت : يامعاوية إن هذه الجماعة جماعة حسنة ، وأنا والله القائلة ذلك جميعه وما خفى عنك أكثر ، فضحك معاوية وكل من في المجلس ، ثم قال لها معاوية : ليس يمنعنا ذلك من أداء حَقِّك وقضاء حوائجك ، قالت : أمّا في هذا المجلس فلا ، وانصرفت .

[وفود عكرشة على معاوية]

حدثنا أحمد بن سليم ، قال : دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية وهي متوكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة ، فقال لها معاوية : لا إله إلا الله ، الآن صرت عِنْدَكَ أَمِيرَ المؤمنين وتهنئني اليوم بالخلافة !!، قالت : نعم إذْ « عَلَيَّ حَتَّى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - » قال : أَلست

(١) عشى بصرها : ضعف وأصابها مرض العشى في عيناها .

المتقلدة حمائل السيف يوم صَيِّقِينَ وَأَنْتَ بَيْنَ الصَّفُوفِ تَقُولِينَ كَلَامًا حَفِظْتَهُ مِنْكَ ، قَالَتْ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِنْ الْجَنَّةُ لَا يَرُحِلُ مِنْ قَطْنِهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مِنْ سَكْنِهَا ، وَلَا يَحْزَنُ قَاطِنُهَا ، وَلَا يَمُوتُ مَنْ دَخَلَهَا فَاشْتَرَوْهَا بِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْقُضِي هُمُومَهَا ، وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى طَلَبِ حَقِّقِهِمْ ، أَلَا إِنْ مَعَاوِيَةَ قَدِمَ عَلَيْكُمْ بِقَوْمٍ غَلَفَ الْقُلُوبَ لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ وَلَا يَدْرُونَ الْحِكْمَةَ ، دَعَاهُمْ بِالْدُنْيَا فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَلَبَّوهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! إِيَّاكُمْ وَالْفُشْلُ ؛ فَإِنَّهُ يَنْقُضُ عَرَى الْإِسْلَامِ ، وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَدْرُ الصُّغْرَى ؛ وَالْعَقِبَةُ الْأُخْرَى .

فَكَأَنِّي أَرَاكَ مَتَوَكِّعًا عَلَى عَصَاكَ هَذِهِ وَأَنْتَ تَحْضِينَ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ فَإِنْ كَدْتَ لَتَقْتُلِينَ أَهْلَ الشَّامِ ، لَوْلَا قَدَرُ اللَّهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَا عَكْرَشَةَ ؟ قَالَتْ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ لَكُمْ نُسُوكُمْ﴾ [المائدة : ١٠١] ، وَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا كَرِهَ قَوْلًا لَمْ يَقْصِدْ إِعَادَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

اذْكُرِي حَاجَتَكَ الَّتِي جِئْتِ فِيهَا ، قَالَتْ : كَانَتْ الصَّدَقَاتُ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتُرَدُّ عَلَى فَقْرَانَا ، وَقَدْ فَقَدْنَا ذَلِكَ فَلَا يُجْبَرُ لَنَا كَسِيرٌ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْهُ فَقِيرٌ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِرَأْيِكَ فَانْتَبِهْ مِنْ هَذِهِ الْعَقْلَةَ وَرَاجِعِ التَّوْبَةَ ! . وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ رَأْيِكَ فَمَا مِثْلُكَ يَسْتَعْمَلُ الظَّلَمَةَ وَيَسْتَعِينُ بِالْحَوْنَةِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : اكْتُبُوا لَهَا : تَصْرَفُ صَدَقَةُ أَغْنِيَائِهِمْ عَلَى فَقْرَائِهِمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا .

[قِصَّةُ دَارِمِيَةِ الْحَجُونِيَّةِ مَعَ مَعَاوِيَةَ]

وَأَخْبَرَنَا سَهْلُ التَّيْمِيُّ ، قَالَ : حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَسَأَلَ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ كَانَتْ مَقِيمَةً بِأَرْضِ الْحِجَازِ يُقَالُ لَهَا « دَارِمِيَةُ الْحَجُونِيَّةُ » ، فَأَخْبَرُوهُ بِسَلَامَتِهَا وَأَنَّهَا حَيَّةٌ تَرْزُقُ ، فَأَمَرَ بِهَا ، فَلَمَّا حَضَرَتْ - وَكَانَتْ سُودَاءَ - قَالَ لَهَا : كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتَ حَامٍ^(١) ؟ قَالَتْ : لَسْتُ بِابْنَةِ حَامٍ أَنَا امْرَأَةٌ مِنْ كِنَانَةَ ، قَالَ : أَنْتَ دَرِينٌ لَمْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ ؟ وَفِيمَ اسْتَدْعَيْتُكَ ؟ قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ لَمْ أَحْبَبْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

(١) هُوَ حَامُ بْنُ نُوحٍ وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ الْجَنْسُ الْأَسْوَدُ كَمَا أَنَّ الْأَبْيَضَ يَنْسَبُ إِلَى أَخِيهِ سَامٍ .

- رضى الله عنه - وأبغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني من ذلك ؟!

قال : لأبذل أن تقولى ، قالت : أحبيت علياً على عدله فى الرعية وقسمته بالسوية ، وأبغضتك على قتالك لمن هو أولى بالخلافة منك ؛ وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله - ﷺ - من الألوية ، وعلى حبه للمساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال لها معاوية : هل رأيت علياً ؟ قالت : نعم ، قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته ما فتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال : فهل سمعت من كلامه شيئاً ؟ قالت : نعم ، كان كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصداً .

قال : فهل لك من حاجة ؟ قالت : نعم ، أعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعيائها ، قال : فما تصنعين بها ؟ قالت : أغذو بلبنها الصغار ، وأستحى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإذا دفعها لك أكون عندك فى منزلة على ؟ قالت : لا والله ، فقال معاوية ممتلاً :

إذا لم أعُد بالحلم منى عليكم فمئذنا الذى بعدى يؤمل بالحلم
ثم قال لها : أما والله لو كان على حياً ما أعطاك منها شيئاً . قالت والله ولا وبرة^(١) لأنها من مال المسلمين ، فقال لها : خذها وانصرفى .

[وفود أم البراء على معاوية]

واستأذنت أم البراء ابنة صفوان على معاوية فأذن لها معاوية ، فدخلت عليه وسلمت وكان عليها ثلاثة دروع وتسحبها خلفها ، ثم جلست ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة صفوان ؟ قالت : كسلت بعد نشاط ، وضعفت بعد قوة ، قال : شتان بين لسانك اليوم وبين قولك هذا الكلام :

يازيد دونك صارما ذا روثق غضب المهرة ليس بالخوار

(١) الوبرة : واحدة الوبر وهو صوف الإبل والمراد : أنه ما كان يسمح بأقل القليل من مال المسلمين لغير المستحقين .

أُسْرِجْ جَوادَكَ مَسْرَعًا وَمُشَمَّرًا لِلْحَرْبِ غَيْرَ مُعَوَّدٍ لِفَرَارٍ
أَجِبِ الْإِمَامَ وَذُبَّ تَحْتَ لَوَائِهِ وَالْقُوَّةَ الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ بَتَّارٍ^(١)
يَالِيتَنِي أَصْبَحْتُ غَيْرَ قَعِيدَةٍ فَأَذَبَ عَنْهُ عَسَاكِرُ ، الْفُجَارِ !
فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ
اللَّهُ مِنْهُ ، قَالَ : هِيَ بَاتِ وَاللَّهُ لَوْ عَادَ لَعَدَّتْ .

قَالَتْ : أَجَلُ وَاللَّهُ إِنِّي عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَهَدَى مِنْ أَمْرِي .
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : وَهِيَ الْقَائِلَةُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَرْتِي عَلِيًّا عَبْدَ مَوْتِهِ
بِهَذَا الْكَلَامِ :

يَا لِلرَّجَالِ لِعِظَمِ هَوْلِ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ فَلَيْسَ مُصَابَهَا بِالْحَائِلِ
الشَّمْسُ كَأَسْفَفِ لِفَقْدِ إِمَامِنَا خَيْرِ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ
قَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : قَاتِلِي اللَّهَ فَمَا أَبْقَيْتِ قَوْلًا لِقَاتِلِ ، اذْكُرِي حَاجَتَكَ ،
قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَآ ، وَقَامَتْ فَعَثَرَتْ ، فَقَالَتْ : تَعَسَّ بَاغِضَ عَلِيٍّ ، ثُمَّ
خَرَجَتْ ، فَبَعَثَ لَهَا بِجَائِزَةِ سَنَةِ فَقَبِلَتْهَا .

[وفود ليلى الأخيلية على الحجاج]

ووفدت ليلى الأخيلية على الحجاج ، فلما دخلت عليه قال لها : أنشدينا
من شعرك فأنشدت ما اختارت وهو يستريدها ، فلما قُضِيَ انْشَادُهَا ، قَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ الْفَقْعَسِيِّ - وَكَانَ جَالِسًا عِنْدَ الْحَجَّاجِ - مِنْ هَذَا الَّذِي كَانَتْ هَذِهِ
الْمَرْأَةُ تَمْدَحُهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَظْنُهَا كَاذِبَةٌ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
إِنْ هَذَا الْمَعْتَرِضُ لَوْ رَأَى تَوْبَةَ الَّذِي مَدَحْتَهُ لَسَرَّهُ أَلَّا تَكُونَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ
عِذْرَاءً إِلَّا وَهِيَ مِنْهُ حَامِلٌ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : هَذَا وَأَيْبُكَ لِلْجَوَابِ الَّذِي كُنْتُ
عَنْهُ غَنِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَالَيْلَى سَلِي حَاجَتَكَ ، فَأَنْشَدَتْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبَعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْغُضَالِ الَّذِي بِهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاقَةَ ثَنَاهَا
فَقَالَ لَهَا : لَا تَقُولِي « غَلَامٌ » قُولِي : « هُمَامٌ » ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : قَدْ أَمَرْنَا
لَكَ بَعْشَرِينَ أَتْرَاضِينَ ؟ فَقَالَتْ : زِدْ فَمِثْلَكَ مِنْ زَادٍ ، قَالَ : أَرْبَعِينَ ، قَالَتْ :
زِدْ فَمِثْلَكَ مِنْ زَادٍ ، قَالَ : مِائَةً وَاعْلَمِي أَنَّهَا غَنَمٌ ، قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْتَ
(١) ذُبَّ : دَفَعَ الْأَعْدَاءَ ، وَقَاتَلَ دُونَهُ .

أجود جودًا وأعظم مجدًا ، وأورى زندًا [من أن تجعلها غنمًا] ، قال : فماهى ويحك ؟ قالت : أدمًا ؛ فجعل لها إبلًا إنانًا ؛ والأدم هي الإبل الإناث البيض وهى أكرمها وأجلها ؛ قالت : ورعاتها ، قال : ورعاتها^(١).

[وفود أسماء على النبى - ﷺ -]

ووفدت أسماء بنت يزيد على النبى - ﷺ - فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله - ﷺ - إنه ليس فى شرق البلاد وغربها امرأة إلا وهى مثل رأى أن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنّا بك وبالذى أرسلك ، فإنّا معاشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومواضع شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وأنتم معاشر الرجال فضلتُم علينا بالجمعة ، والجماعات ، وعيادة المريض ، وتشيع الجنائز ، والحج ، ثم أفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وإنكم إذا خرجتم حُجّاجًا ومجاهدين ، وتُجارًا ومسافرين حفظنا لكم أموالكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم فى الأجر يارسول الله ؟ فالتفت النبى - ﷺ - بوجهه إلى أصحابه وقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مسألتها عن أمر دينها من هذه المرأة ؟! » فقالوا : يارسول الله ، ما ظننّا أن امرأة تهدى فى دينها إلى مثل مقالتها ، فقال النبى - ﷺ - : « انصرفى أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حُسنَ تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك إن شاء الله تعالى » ، فانصرفت وهى تهلل وتكبر استبشارًا^(٢).

[وفود إبراهيم بن محمد على عبد

الملك بن مروان]

لَمَّا وَلِيَ الْحَجَّاجُ الْحَرَمِينَ حَظَى عِنْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْحَجَّاجُ الرُّجُوعَ إِلَى الشَّامِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْفَدَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ

(١) تجد هذه القصة مطولة فى الأمالى ٨٧/١ - ٨٩ .

(٢) أخرجه البزار برقم (١٤٧٤ - كشف الأستار) من حديث ابن عباس مختصرًا وهو حديث ضعيف .

وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣٠٥/٤) : وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف .

ابن محمد يريد له خيرًا عند عبد الملك لم يبدأ بشيء قبل شكر إبراهيم ابن محمد وقال : أمير المؤمنين أثبتك برجل الحجاز في الشرف والأبوة والفضل والمروعة مع ما هو عليه من حسن الخلق والطاعة وجميل المناصحة ، والله لم يكن في الحجاز له نظير ، فبالله يأمر المؤمنين إلا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه ، فقال عبد الملك : والله يأبأ محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ، ائذن له في الدخول ، فأذنوا لإبراهيم في الدخول !

فلما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه في صدر المجلس ، ثم قال له : إن أبا محمد الحجاج ذكرنا منك ما نعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك فلا تدع في صدر المجلس حاجة إلا ذكرتها وأعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا تُضَيِّع شكر أبي محمد الحجاج فيك .

فقال إبراهيم : إن الحاجة التي أبغى بها وجه الله تعالى ، نصيحة أمير المؤمنين ، والتقرب إلى الله تعالى وإلى النبي - ﷺ - في القيامة فأنا أبدأ بها يا أمير المؤمنين ، قال : قل .

قال : لن أقولها وبينى وبينك ثالث ولا صديقك الحجاج .
قال : قم يا حجاج ، فقام الحجاج حَجَلًا وهو لا يعرف أين يطاء ! ، ثم قال : هات نصيحتك .

قال إبراهيم : إنك يا أمير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين وفهم من يُعرف من أبناء المهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله - ﷺ - مع ما تعلمه من ظلمه وعُسْفِه ، وبعده عن الحق ، وقُرْبِه من الباطل ، يسومُهُم الخسف ويطوُّهم بطَّعام^(١) أهل الشام ، فليت شعري أى جواب أعدده لرسول الله - ﷺ - إذا سألك في عرصات القيامة^(٢) عن ذلك ، فبالله يا أمير المؤمنين إلا عزلته وادخرتها قربة إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال عبد الملك : لقد جاء ظن الحجاج بغير أهله قم ، فقال إبراهيم : قمت وما أعرف طريقاً .

قال : وقد خرجت من المجلس واسودَّت الأرض في وجهي ، فتبعني حاجبه ، وقبض على زندي وأجلسني في الدهليز ، ثم دعا بالحجاج فدخل فمكث طويلاً عند أمير المؤمنين وما شككت أنهما يتناجيان في قتي ، ثم دعاني فقامت ودخلت ، فوافاني الحجاج وكان خارجاً فعانقني وقال : جزاك الله عن

(٢) العرصات : جمع عرصة ، وهي الساحة

(١) الطَّعام : أرذل الناس .

النصيحة خيراً ، والله لئن عشت لأرفعن قدرك وتركني ، فدخلت وأنا أقول
 بهزأً بي وهو معذور ، فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فأجلسني مجلسي
 الأول ثم قال : علمتُ صدقك ونُصحتك وقد عزلته عن الحرمين ، ووليته
 العراق وأفهمته أنك تطلب له الزيادة في الكمال ، وهو يظن أنك السبب في
 توليته العراق ، وقد تهلل وجهه بذلك سروراً ، فسِرْ معه أينما توجه يوليك
 خيراً ولا تقطع عنا نصيحتك .

[وفود أبي الربيع على أبي جعفر المنصور]

ووفد أبو الربيع على أبي جعفر المنصور - وكان صديقاً له قبل أن
 تفضى إليه الخلافة وكان يكتب معه الحديث - فلما دخل عليه قال : ياأبا
 الربيع ما فعل عيالك ؟ قال : كما علمت ياأمير المؤمنين ، فدفع له ألف دينار
 وقال : خذ هذه ولا تأتنا بعد يومك هذا ! .

وكان المنصور يشتهي ألا يعود إليه بشيء في نفسه ، فأخذها الربيع
 وانصرف ، فلما كان رأس الحول^(١) جاءه فدخل عليه وسلم ، فلما رآه
 المنصور قال : ألم أقل لك لا تأتنا ؟ قال : ياأمير المؤمنين إني لم آتكَ سائلاً
 وإنما جئتكَ مُسَلِّماً ، فأعطاه ألف دينار ، فقال : خذها ولا تأتنا بعد يومك
 هذا سائلاً ولا مُسَلِّماً ، فأخذها وانصرف .

فلما كان في رأس الحول أتاه ، فقال له المنصور : ألم أقل لك لا تأتنا ،
 فقال : لم آتكَ سائلاً ولا مُسَلِّماً وإنما آتيتكَ مُسْتَمْلِياً^(٢) دعاءً كنت أسمع أمير
 المؤمنين يدعوه به عقيب الصلوات ، فدفع له ألف دينار ، وكتب له الدعاء ،
 وقال : لا تأتنا سائلاً ولا مُسَلِّماً ولا مُسْتَمْلِياً ، ولا تَدْعُ بهذا الدعاء فإنه
 غير مستجاب !

قال : ولم ياأمير المؤمنين ؟ قال : لأنني سألت الله تعالى أن يُرْحِنِي منك
 ثلاث سنين ولم يستجب وواظبت عليه مراراً وأنت على حالك !! .

(١) رأس الحول : نهاية العام .

(٢) مستملياً : طالبا منك أن تُعْلي علي ما حفظته .